

القراءات الحداثية للقَصَص القرآني من منظور العلمانيّين العرب

-الصادق النيهوم أنموذجا-

*Modern Readings of Quranic Stories from the Arab Secularist -Sadeq Al Naihoum's Perspective-*عفاف بوقلقول^{1*}، أ.د. عبد الملك بومنجل²¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر المثقافة العربية في الأدب ونقده (الجزائر)،

af.boukalkoul@univ-setif2.dz

² جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر المثقافة العربية في الأدب ونقده (الجزائر)،

a.boumendjel@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2024/04/24

تاريخ القبول: 2024/03/12

تاريخ الاستلام: 2023/10/23

ملخص: تُعنى هذه الدراسة بالقراءات الحداثية للقَصَص القرآني من منظور العلمانيّين العرب، ولهذا يتجه هذا البحث إلى بيان ماهية القراءات الحداثية، وواقعها لدى الباحث الليبيّ الصادق النيهوم، بالإضافة إلى تحديد الاستراتيجيات التي اعتمد عليها في دراسته للقَصَص القرآني، وتوضيح الأخطاء التي وقع فيها، وإثبات صدق القَصَص القرآني، وتأكيد قدسيّة القرآن الكريم أمام معول المناهج الحداثية، والكشف عن خطورة تطبيق القراءات الحداثية على النصّ القرآني، دون مراعاة هذه القدسيّة. كلمات مفتاحية: القراءات الحداثية، القَصَص القرآني، العلمانيّون العرب، التفسير، الصادق النيهوم.

Abstract:

This study explores the modern readings of Quranic stories from the viewpoint of Arab secularists, focusing on the Libyan researcher Sadeq Al Naihoum. The research aims to elucidate the nature of modern readings and their reality in the context of Sadeq Al Naihoum's perspective. It also seeks to identify the strategies employed by him in his study of Quranic stories, clarify the mistakes made, establish the authenticity of Quranic narratives, affirm the sanctity of the Quran in the face of modern approaches, and reveal the dangers of applying modern readings to the Quranic text without considering its sanctity.

Keywords: Modern Readings, Quranic Stories, Arab Secularists, Interpretation, Sadeq Al Nihoum .

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقي النصّ القرآني اهتماماً واضحاً من قبل النّقاد المعاصرين، لاسيما بعد ظهور بعض المُقاربات النّقدية الّتي ترغب في قراءة النصّ القرآني من زوايا متنوعة، كالأسلوبية، والبنوية، والتأويلية والتّاريخانية، إلى غير ذلك من القراءات الحداثيّة التي انبثقت بها حداثّة تسعى إلى أنسنة الخطاب القرآني ونزع صفة القدسيّة عنه، ومن ثم إخضاعه للعقل البشري، فيصبح النصّ القرآني من زاوية نظرها مثله مثل أي نص بشري. وقد جاءت هذه الدراسة للبحث في واقع القراءات الحداثيّة للقَصص القرآني من منظور العلمانيّين العرب.

والعلمانية ركن من أركان الحداثيّة. وتعني التعامل مع العالم بعيداً عن تأثير الرؤية الدينيّة للكون، وإخضاع الدين ذاته للتحليل العلمي، مع ميل الاتجاهات المتطرفة إلى نزع القداسة عن كل دين، وعدّ الدين ظاهرة اجتماعية من صنع الإنسان ذاته. وقد لقيت هذه الاتجاهات غريبة الأصل رواجاً لدى المناهضين للدين الإسلامي، والمتحمسين لأطروحة الحداثيّة، الرافضين لفكرة الولاء للتراث والتمسك به. وقد كان للمستشرقين دور في إشاعة هذا الولاء للحداثيّة الغربيّة في أوساط الباحثين العرب، فانتهجوا طريقهم في قراءة النصّ الديني، واقتفوا آثار الحركات الإستشراقية في تجريد القرآن من قدسيّته، وإنزال معاول تأويلاتهم عليه بغير تحرّج، ووصل الأمر ببعضهم إلى الطعن في صحة القَصص القرآني وواقعته وصدقه، بعد أن تجاوزوا التفسير المشهورة للقرآن الكريم، ودعوا إلى قراءات حداثيّة معاصرة تؤنسن النص الديني وتؤرخنه وتعقلنه، وتعامله معاملة النصّ البشري سواء بسواء.

واقترضى البحث اختيار عينة للاشتغال عليها، حتى تتحدد المفاهيم أكثر وتنتضح الرؤية، وهي (قراءة الصادق النيهوم). فتعيّن علينا تحديد حدود القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم، والتحرّي عن الاستراتيجيات الّتي اعتمد عليها الصادق النيهوم في دراسته للقَصص القرآني، وتوضيح الأخطاء التي وقع فيها. والهدف من البحث إثبات صدق القَصص القرآني، وتأكيد قدسيّة القرآن الكريم أمام معول بعض المناهج الحداثيّة، والكشف عن سلبات ومخاطر تطبيق القراءات الحداثيّة على النصّ القرآني، وذلك من خلال اتباع المنهج الوصفي التحليلي.

ونتحرى في هذا البحث الإجابة على الأسئلة الإشكالية الآتية:

- _ ما هي حدود القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم؟
- _ ما هي الاستراتيجيات الّتي اعتمد عليها الصادق النيهوم في قراءته للقَصص القرآني؟
- _ فيما تتمثل خطورة تطبيق القراءات الحداثيّة على النصّ القرآني؟

2. حدود القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم:

حتى تتضح فكرة حدود القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم، يجدر تقسيمها إلى وحدات اصطلاحية

ثم شرحها وتحديد ماهيتها ومفهومها:

1.2 مفهوم القراءة:

يختلف مفهوم القراءة باختلاف موضعها وسياقها، فهناك من يراها " فعلاً مستمراً لا يتوقف، يبدأ من الماضي ويستمر إلى الحاضر الراهن في حركة جدلية لا تهدأ ولا تنفد"¹؛ ومعنى ذلك أنّ القراءة نشاط متواصل عبر الأزمنة، تتخذ أشكالاً متعددة حسب طبيعة النص، والقراءة " لا تعني مجرد مطالعة نص، وإنّما تعني فهمه وتفسيره أو تأويله"²؛ أي أنّ القراءة درجات، فهناك من يقرأ من أجل المطالعة، وهناك القراءة الأولى للنص بهدف التعرف عليه، وهناك القراءة الفاحصة النقدية؛ وهي القراءة التي يستخدم فيها الباحث جملة من المقاربات النقدية بغية الكشف عن النص من كل جوانبه، و القراءة Microlecture عملية يلجأ إليها الناقد من أجل "إبراز الخصائص العامة للأثر الأدبي من خلال تحليل دقيق لمقاطع نصية قصيرة"³؛ أي أنّ القراءة تتحدد من خلال السياق الذي وضعت فيه.

2.2 مفهوم الحداثة:

الحداثة **Modernisme** "مصطلح يستخدمه النقاد والباحثون للدلالة على الانتقال من مرحلة الفكر النقدي والأدبي التقليدي إلى مرحلة جديدة تعتمد على الأساس النظري والأمبريقي للوصول إلى الحقائق الأدبية أو النقدية التي تتأسس على مجموعة من التحولات البارزة في ثقافة المجتمع الاستهلاكية والصناعية والفكرية والعلمية"⁴؛ أي الانتقال من القديم لمواكبة التطور الجديد، وهي مصطلح غربي يعني في وجهه العام؛ الانتقالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والتكنولوجية التي شهدتها المجتمعات الغربية إبان فترة النهضة الأوروبية، التي تمت من خلال معارضة النمط التقليدي في التفكير الذي يتبنى التراث قاعدة له.

مصطلح **Moderne** على حد تعبير أندريه لالاند **André Lalande** مستعمل بكثرة منذ القرن

العاشر، في المساجلات الفلسفية أو الدينية، وفي مفهومه العام؛ يُقصد به حب التغيير لأجل التغيير والميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة، بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه، وفي معناه الضمني؛ يحمل مفهوم الانفتاح والحرية الفكرية⁵، فاللفظة تحمل عدّة معانٍ تختلف حسب السياق الذي وردت فيه؛ ويُفرق لالاند بين "حادثة صحيحة تتوافق مع التشكيلات الفكرية الحقيقية والضرورية، وبين حادثة سطحيّة

Ein Flachmoderne؛ تقوم على جهل التراث وحب الجديد مهما يكن"⁶.

أما الحادثة التي نقصدها ، فهي تلك المرتبطة بالسياقات الدينية، وأول ما ظهرت في الدول الغربية الراضية للنظام الديني، ونظام الكنيسة التقليدي، هي الحادثة التي تدعو إلى التجديد والتحديث في النظام الديني، كما أنها "حركة مسيحية مطالبة بتحديث المعتقدات والعقائد التقليدية بما يتناسب مع التفسيرات للكتاب المقدس"⁷، ولقد تأثر بعض النقاد والمفكرين العرب بهذا المفهوم، فذهبوا إلى تقليده وتطبيقه على النصّ القرآني، فظهرت حركات عديدة تدعو إلى التّحديث في العقلية الإسلامية، والفكر الديني، والنظر في القرآن الكريم من زاوية غربية اعتقادًا منهم بأنّ مواكبة الحادثة ضرورية من ضرورات التطور.

3.2 مفهوم القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المُنزّل على سيدنا ونبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم، عن طريق جبريل عليه السّلام، بلسان عربيّ مبين، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، ولقد "نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على محمد صلّى الله عليه وسلّم في غار حراء، وكان ذلك أول بدءٍ للوحي بُنزول القرآن الكريم"⁸، وأول الآيات التي نزلت على نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم، قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق، 1-5).

4.2 القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني:

ظهرت المناهج النّقدية وسيلةً لاستقراء النصوص الإبداعية من زوايا مختلفة، تختلف باختلاف المنهج واجراءاته وخلفياته المعرفية والعلمية، وقد تنوعت هذه المناهج، فعرفت المنظومة النّقدية سلسلة من المقاربات أحدث بعضها قطائع معرفيّة ومنهجية عديدة، كان الغرض منها تجاوز الدراسات الكلاسيكية السياقية. وقد جعلت بعض المقاربات النسقية، كالتفكيكية والتأويلية، النص الديني المقدّس موضوعاتها، وعندما انتقلت هذه المناهج إلى الساحة العربية انتقلت عدوى المقاربة الحداثيّة للنص المقدس، فذهب بعض النقاد والمفكرين العرب الخاضعين للاتجاه العلمانيّ إلى قراءة الخطاب القرآني قراءة حداثيّة تتجاوز التفسيرات العربية القديمة.

والقراءة الحداثيّة للنصّ القرآني هي "تلك القراءة التي اعتمدت على المناهج الحداثيّة لفهم النصّ القرآني وتأويله بدعوى أنّ هذا هو الفهم المعاصر، الذي ينبغي أن يكون"⁹، وأصحاب هذه القراءة "يريدون تطبيق المناهج التي طبقت على الكتاب المقدس للوصول إلى نتيجة، وهي أنّ القرآن عرف ما عرفه الكتاب المقدس من زيادة وتبديل"¹⁰؛ فالقراءات الحداثيّة تسعى إلى نزع صفة التعالي عن القرآن الكريم وإنزاله إلى

منزلة النص العادي، ليتسنى لهم إخضاعه لكل هذه المقاربات الحداثية المعاصرة. و "ما يميز هذه المناهج في قراءتها للنص هو سعيها نحو إحداث قطيعة معرفية كلية مع كل القراءات التراثية للنص القرآني والتي جسدها كتب المفسرين القدماء وجهودهم المتمثلة في خدمتهم للنص القرآني تحقيقاً وبياناً والتي كانت تحتكم إلى الضوابط والمناهج العلمية وتخضع للشروط الموضوعية للتفسير من أجل التلقي السليم لمعاني القرآن الكريم"¹¹. وجل تلك القراءات تحمل في ثناياها مضمرات وجب التفطن لها.

ويختلف مصطلح القراءة الحداثية من باحث إلى آخر، لذلك يستعمل الباحثون مصطلحات مختلفة للتعبير عن هذا المفهوم؛ فبعضهم يستعمل مصطلح القراءة المعاصرة*، وبعضهم القراءة الحداثية**، وبعضهم القراءة الجديدة***، ومن أهم المقاربات التي مارسوا بها قراءاتهم الحداثية هذه "التاريخانية" و"التأويل". ويعدّ الصادق النهوم، وعصام الدين حنفي، ومحمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، من أبرز من اعتمد هذه المقاربات.

3. الاستراتيجيات العلمانية العربية في قراءة القَصَص القرآني:

تؤمن بعض الاتجاهات العلمانية "بما دلت عليه التجربة والحواس"¹². لذلك تنادي بنزع القدسيّة عن الخطاب القرآني، وتحاول أنسنة القرآن الكريم، يعدّه خطاباً بشريّاً محمديّاً خاضعاً لتأثير التاريخ. وقد نتج عن ذلك تناول القصص القرآني تناولاً تأويلياً ينزع القداسة عنها، وينزل بها إلى مستوى الاستعمال الرمزي المعهود في النصوص البشرية. وسيكون هذا التناول لدى أحد رموزه، وهو الصادق النهوم، موضوع هذه الورقة البحثية، حيث ننظر في تناوله لقصة أهل الكهف، وقصة السيدة مريم وابنها النبي عيسى عليه السلام.

1.3 قراءة الصادق النهوم للقَصَص القرآني:****:

قاد الصادق النهوم إلى قراءته الحداثية العلمانية للقَصَص القرآني جملةً عوامل، منها "ذهابه للدراسة العليا في أوروبا وبالتحديد في ألمانيا الغربية أواخر عام 1962"¹³؛ إذ كان لهذا العامل أثر جلي في تكوين أفكاره، وتحديد توجهاته، فلقد تلقى الفكر الغربي مباشرة دون أي وسيط؛ فكان ذلك تلقياً من الدرجة الأولى.

ومنها تلك "الثقافة الكبيرة التي امتاز بها، والتمرد والسخرية اللتين عرف بهما أولى الخطوات على الطريق إلى الرمز"¹⁴. وقد اتخذ من الصحافة الليبية منبرا لحواراته ودراساته التي نشرت عبر سلسلة مقالات في صحيفة الحقيقة شهري يوليو/ تموز وسبتمبر/ أيلول 1967م، تحت عنوان "الرمز في القرآن"، بداية من مقاله الأول "هذه تجربتي أنا" الذي نشره في مارس 1966م، حيث يقول فيه "أرجو ألا ينسى أحد

أن ما أقوله في الأيام القادمة يعني بكل إخلاص ثلاث كلمات فقط "هذه تجربتي أنا"، ولكل منا الحق في أن يقول تجربته على نحو ما¹⁵، وكأنه يقدم مبررات سابقة على أعماله التي سيطرحها. وقد اتخذ فكرة "الرمز" مدخلا لتقديم قراءات غريبة وأطروحات جريئة واجه بها رجال الدين، كما في مقاله "من أكل القديد". وقد ساعد على ظهور أعماله وانتشارها سكوت السلطة عن تلك الأفكار الجريئة. وسنحاول في هذا البحث اكتشاف دراسته للقصاص القرآني، والاستراتيجيات التي اتكأ عليها.

1.1.3 قصة أهل الكهف عبارة عن رمز:

تنطلق دراسة النهوم من خلال البحث عن أبعاد الرمز المضمرة في ثنايا الكلمات، فهو يؤمن بوجود تفسيرات متوارية، خلف كلمات النص القرآني عامة وقصة أهل الكهف خاصة، وبأن القرآن يمكن تفسيره وفق أبعاد رمزية، فالرمز الذي يبحث عنه يتمثل في "مجموعة من المهمات منها... إيجاد الطريقة المثلى للتعبير عن فكرة أكثر تعقيداً مما تحتمل اللغة العادية"¹⁶، فالنهوم يعتقد بأن القصة الحقيقية تختار الحدود اللفظية المتسعة التي تحمل أفكاراً وألفاظاً تحتاج إلى أكثر من تفسير، ويتم ذلك من خلال الحفر في الأبعاد الرمزية الموجودة في القصة القرآنية، فالحقيقة على حد تفكيره موجودة خلف القصة المذكورة، ولكي نصل إليها حسب اعتقاده يجب القبض على دلالات خاصة تقود إلى كنهها المقصود، وكأن العملية عبارة عن كشف وقبض وتعريّة، فالخطوة الأولى تستدعي حضور الألفاظ المشكلة للقصة الظاهرة، ثم تلهم عملية القبض؛ بحيث يتم تحديد مفردات خاصة واضحة تحمل هي الأخرى دلالات عديدة، مما يستدعي حضور التأويل، فيقوم النهوم بتعريتها والكشف عن المضمّر، والمسكوت عنه، وهنا يصل إلى القصة الحقيقية التي يسعى لها، وكان للرموز دوراً بإضمارها، وفي الغالب هي أحداث أسطورية حسب ما توصل إليه النهوم، ويقول بأن "هذا هو الرمز الذي أعرف أن القرآن يستخدمه لكي يظل كما يقول الفقهاء صالحاً لكل زمان ومكان"¹⁷.

ولقد اعتمد في دراسته هذه على جملة من المرجعيات من بينها "نسخة إنجليزية من تفسير القرآن كتبها (مولانا محمد علي)، والقاموس، والتفسيرات العربية المعتمدة"¹⁸، أما بخصوص المنهج الذي اعتمد عليه، فيقول "ليس لديّ ثمة منهج معين، ولا أود أن أحدد هدفاً واحداً من وراء هذه المحاولة. وكل ما أريده أن أعرض النص والرمز دون خطة من أي نوع"¹⁹، يتضح للقارئ أنّ النهوم لم يلجأ لأي منهج معين، لكن بعد الاطلاع على دراسته، اتضح أنّه اعتمد على استراتيجية في تفسيره لسورة أهل الكهف، وتتمثل في:

1/ عرض الآيات القرآنية التي يودّ دراستها.

2/ طرح التساؤلات مرفقة بالفرضيات، والتشكيك في مصداقية الآيات.

3/ ربطها بالعوامل الخارجية (التاريخية، الاجتماعية، النفسية، إلى غير ذلك).

4/ البحث عن القصة الحقيقية وراء حدود الكلمات.

فمثلاً يقول عن الآية {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} (الكهف: 25) "هل يروي القرآن هنا حدوث معجزة؟ وهل نام أصحاب الكهف ثلاثة قرون حقاً؟"²⁰، نلاحظ أنّ استفساراته فيها شكوك ضمنية، وفي نفس الوقت تقوده إلى طرح فرضيات تمهد للإجابة عن الأسئلة التي طرحها، حيث يقول "سأفترض أن القصة بأسرها حادثة رمزية تهدف في الظاهر إلى الحديث عن بضعة من القديسين المطاردين في الجبال، وتهدف في الواقع إلى الحديث عن تاريخ المسيحية ذاتها"²¹، فيذهب بعدها للبحث عن الرموز الموجودة في قصة أهل الكهف، لكي يعيدها إلى تاريخها الحقيقي -تاريخ المسيحية حسب اعتقاده- ومن هنا ينطلق في دراسته، باعتبار أنّ قصة أصحاب الكهف عبارة عن حوادث رمزية، تضمّن القصة الحقيقية، ويجب أن يكتشفها، من خلال الحفر في باطن الوحدات اللفظية للقصة، ويقول بأنّ "مواصلة الحديث عن أبعاد الرمز وراء حدود اللفظ، ستقودني في النهاية إلى موقف مفصل للقصة الحقيقية الكامنة تحت سطح الكلمات"²²، فالوحدات اللفظية المتسعة على حد تعبيره تحمل في طياتها تفسيرات عديدة، وتخفي الحقيقة المقصودة.

ويوضح ذلك من خلال ربط القصة بالأحداث التاريخية كتاريخ ميلاد المسيح عيسى، إذ شكك في التاريخ المذكور في الإنجيل، ورأى أنّ التّاريخ الصحيح لميلاد المسيح "قبل التاريخ المعتمد حالياً بخمس سنين على الأقل"²³، فقوض جميع المصادر التي تحدثت عن تاريخ المسيح عيسى، وراح يستشهد من القرآن على أنّ رأيه صحيح، من خلال التّطرق إلى قصة السيدة مريم العذراء، فيقول: "القرآن يذكر أنّ مريم جاءها المخاض بجانب نخلة، وقد أشار القرآن إلى هذا المكان بالذات لكي يشير بعد ذلك إلى أن بلح النخلة كان قد استوى وصار رطباً، ولأنّ البلح لا ينضج في ديسمبر/ كانون الأول، فمن الواضح أن القرآن يرفض تاريخ الميلاد الحالي الذي يحتفل به المسيحيون"²⁴، ويرى بأنّ الخمس سنوات التي ذكرها مهمة للغاية في تفسيره للآية رقم 25 من سورة الكهف، ليتوصل في الأخير إلى أنّ "عملية الحساب العادية تثبت أن الدين الجديد ظل مطاردًا ثلاثمائة عام بالضبط، وظلّ عبادة سرية يزاولها القديسون في الكهوف طبقاً لكل المراجع المعتمدة حتى عصر قسطنطين"²⁵. فهذا التفسير الذي قدمه على حسب تعبيره هو الذي أضمرته كلمات الآية، وهو المقصود من القصة.

تطرق أيضا إلى تفسير باقي آيات قصة أهل الكهف، نحو: قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} (الكهف: 18).

وذهب في قراءته لهذه الآية إلى اعتبار أن "الوحدات اللفظية المخصصة لتحديد صورة القديسين داخل الكهف تتميز بأربع ظواهر حادة من ظواهر الرمز"²⁶، فتفسيره يقوم على اعتبار كلمات الآية وحدات لفظية تحمل في طياتها أبعاداً رمزية، أو ظواهر على حد تعبير النهموم، تتمثل في:

الظاهرة رقم 01: تتمثل في قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} يرى بأن الآية ترمز إلى "حالة الركود المعروفة في تاريخ المسيحية بين ميلاد عيسى المسيح وبين عصر الامبراطور قسطنطين"²⁷، فنلاحظ بأنه قد طبق استراتيجيته في قراءة القصة، بحيث يربطها بأحداث تاريخية عاشتها المسيحية، فهو لم يتوقف عند ظاهر القصة، وعند الحدود اللفظية التي تحملها كلماتها، بل يؤكد ضرورة تعريبها، واستنطاق مضموماتها، للكشف عما وراء العبارات، بحيث يتوصل إلى الحادثة الحقيقية، كما سبق أن ذكرها.

الظاهرة رقم 02: تتمثل في قوله تعالى: {وَنُقِلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ}؛ يراها "رمزاً لحالة التيه التي عاشها أتباع المسيحية في تلك الفترة"²⁸، حيث يواصل النهموم دراسته، بإثبات أن كل ما هو ظاهر مجرد تغطية لمستور، يجب إدراكه، وتوضيحه.

الظاهرة رقم 03: تتمثل في قوله تعالى: {وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}؛ يرى بأنها "إشارة أكثر وضوحاً إلى أن الدين الجديد كان يواصل انتشاره في مناطق مأهولة بالشعوب التي تحترف الرعي وهي حرفة شعوب أوروبا خلال تلك الفترة بصورة عامة"²⁹، نلاحظ بأن التأويل الذي طرحه بشأن الآية المذكورة سابقا، بعيد كل البعد عن الألفاظ التي تحملها، فالنتيجة التي توصل إليها، أو الحقيقة المخفية التي كشفها، تعود لأحداث قديمة جدا، لا علاقة لها بهيئة الكلب.

الظاهرة رقم 04: تتمثل في قوله تعالى: {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}؛ يرى بأنها تعبر عن الرهبان الذين "كانوا يمارسون حياة أقرب إلى حياة المتوحشين في الأدغال، ويطلقون لاهم وشعورهم ويعزفون عن الغسل ويطيلون أظافرهم ويعيشون العمر كله في مسوخ ممزقة"³⁰. مرة أخرى يؤكد النهموم أن كل مفردة لها دلالات عديدة، لا بد وأنها تضممر جملة من الحقائق، التي سيسعى النهموم إليها.

هذه هي الرموز التي يعتقد من خلالها النهوم، أنها تحتوي على القصص الحقيقية، ولقد توصل بعد تفسيراته إلى أن قصة أهل الكهف ليست معجزة، ويقدم جملة من الدلائل على هذه النتائج، فيقول: "لم تتقدم الآيات بأية تفاصيل لتثبيت حدوث المعجزة أو عدم حدوثها"³¹، فمنهج الفرضيات والتشكيك بمصداقية الآيات حاضر دائماً، فنحن نلاحظ أنه بعد تأويلاته توصل إلى نتيجة مفادها أن "المعجزة تأتي من الأساطير المسيحية"³²، وهذه هي الفكرة التي قرر الدفاع عنها واعتبارها جوهر القصة، والرمز الذي يبحث عنه وراء حدود الكلمات، فقصة أصحاب الكهف من منظوره ليست معجزة مذكورة في النص القرآني، والقصص القرآني يعتمد على الأساطير المسيحية لتفعيل خاصية المعجزات.

2.1.3 صدقت قصة أهل الكهف وأخطأ النهوم:

تطرق الورقة البحثية كما سبق الذكر إلى توضيح قراءة الصادق النهوم للقصص القرآني، أمّا الآن، فستذهب إلى مساءلتها نقدياً.

اعتبر النهوم أن القصة تحمل في طياتها قصة أخرى غير الظاهرة في حدود الكلمات، وعدّ قصة أصحاب الكهف مجرد أسطورة مسيحية، وهذا تحريف لكلام الله، وتأويل فاسد، وسخرية وتهكم وطعن في القصص القرآني، وهذا هو هدفه وهدف من اتبع منهجه، نزع صفة التعالي عن النص القرآني، وتكذيب قصصه، فأهل الهوى والبدعة دائماً يركزون على صرف القصة القرآنية "عن ظواهرها التي وضعت لها وإبطال معانيها المرادة بها، بأنواع من التحريفات والتمحلات، ويسمون ذلك تأويلاً، وإنما هو تحريف للكلم عن مواضعه، وصرف المعنى عن حقيقته"³³، وغايتهم واضحة، فهو وأمثاله ممن يعتمدون على الدراسات الغربية، الجانحة إلى للتأويلات المزيفة، لا يمكن اتباعهم، ولا الاقتداء بهم ولا ذكرهم، فمن حذا حذوهم، فقد وقع في غياهب الفساد.

فالدراسة التي طرحها النهوم مليئة بالمخاطر والمزالق، فقصة أصحاب الكهف لا تحتاج إلى تفسيرات باطنية كما يعتقد هو، فهي واضحة مكشوفة معلومة، بكل ما جاءت بها من معاني وعبر، لا تحتاج إلى تأويلات باطنية. صحيح أن بعض الآيات القرآنية فيها رموز تحتاج إلى التفسير، والمراجعة والنظر والتأمل، إضافة إلى فقيه في الدين وعالم بأسرار البيان، فالكشف عن رموز بعض الآيات ليس بالأمر الذي يستطيع الجميع التمكن منه. أما لو نظرنا إلى قصة أصحاب الكهف من زاوية أنها تحتوي على رموز، -علماً أن الرمز هو "أن يريد المتكلم أمراً ما في كلامه، مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه فيرمز له في ضمته رمزا يهتدى به إلى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه"³⁴-، فإننا نلاحظ أن قصة أهل الكهف قد وردت بمعاني وألفاظ ومقاصد واضحة.

ثم إنَّ الأمر الذي يجعلنا نضعه في خانة الانتقاد، هو اعتماده على نسخة إنجليزية في تفسير القرآن كتبها محمد علي اللاهوري القادياني (1874_1951م)، هذا الأخير هو أحد أتباع أحمد القادياني (الذي ادعى النبوة)، ورئيس الفرع اللاهوري للقاديانية، وتفسيراته للقرآن الكريم كانت عبارة عن تحريفات وتأويلات باطلة، تهدف إلى تخريب الإسلام، وكل هذه التفسيرات الفاسدة ظهرت بفعل الحركة الإستشراقية التي عملت على نشر سموم القراءات الحداثية في ثنايا نصوص القرآن الكريم.

فقراءة محمد علي اللاهوري تعدّ "من أهم كتب التفسير أو الحواشي التفسيرية التي ألفها علماء أهل البدعة، وأصحاب الفرق الباطلة، والنحل الفاسدة في شبه القارة الهندية، لنصرة بدعهم المتنوعة ونشر أهوائهم الزائفة"³⁵، وأن تعتمد كمرجع في قراءة القرآن الكريم، فهذا خطأ وخطأ وتناقض وقع فيه النهموم، فالمنطلقات غير المحددة والخلفيات المشبوهة تقود إلى طريق مسدودة، والأصح لكل من يرغب في قراءة وتفسير القرآن الكريم العودة أولاً إلى القرآن الكريم ذاته، والاطلاع على كل ما ورد فيه، ثم على ما جاء به نبي الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعدها الاطلاع على تفاسير الصحابة، ثم تفاسير من تبع الصحابة، ويلها تفاسير السلف الصالح والعلماء والفقهاء، إضافة إلى ذلك الاعتماد على المعاجم العربية وغيرها من المرجعيات والخلفيات الثابتة التي يستطيع من خلالها مفسر القرآن السير في طريق صحيح.

أما بخصوص التفسير الذي قدمه النهموم للآية رقم 18 من سورة الكهف، والذي سبق التطرق إليه، فما هو إلا "تحريف للكلم عن مواضعه تحريفاً فاحشاً، وإخراج للنص عن معناه الحق"³⁶، فالآية تتحدث عن قصة أصحاب الكهف وقد وضحت كتب التفسير ذلك، وبينت معجزات الله عز وجل في خلقه، فلو لجأ إليها النهموم لما وقع فيما وقع.

حيث تم تفسير قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} أنه "لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِم بِالنُّؤْمِ، لَمْ تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ؛ لِئَلَّا يُسْرَعَ إِلَيْهَا الْبَلَى، فَإِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةٌ لِلْهَوَاءِ كَانَ أَبْقَى لَهَا"³⁷. وقوله تعالى: {وَنُقَلِّبُهمْ دَآئِ الْمَيِّمِ وَذَآئِ السِّمَالِ} أي "يُقَلَّبُونَ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ لَمْ يُقَلَّبُوا لَأَكَلَتْهُمُ الْأَرْضُ"³⁸.

وقوله تعالى: {وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} أي "يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابُ. وَهَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، حَيْثُ يَرِيضُ بِبَائِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ، وَكَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ"³⁹.

وقوله: {لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا} "أي: أَنَّهُ تَعَالَى أَلْقَى عَلَيْهِمُ الْمُهَابَةَ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ نَظَرٌ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ؛ لِمَا أُلْبِسُوا مِنَ الْمُهَابَةِ وَالذُّعْرِ، لِئَلَّا يَدْنُو مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا تَمَسَّهُمْ يَدُ لَامِسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَتَنْقُضِيَ رَقْدَهُمُ الَّتِي شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُجَّةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ"⁴⁰.

حكمة الله في جعل بعض القصص القرآني عبرة لنا، إعجاز في حد ذاته، ولهذا علينا التفكير والتأمل والتدبر فيها، ولكن بمحدودية عقلنا، إذ لا يمكن لنا نسب قصص القرآن إلى الأساطير، فالفرق بينهما واضح جداً، فكلام الله تعالى لا ريب فيه، ولا وجود للخطأ فيه، بدون زيادة ولا نقصان، وهذا واضح في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة: 02)، أما الأساطير فهي خرافات من تأليف البشر، فهل يعقل أن نعيد كلام الله عز وجل إليها؟ شتان ما بينهما.

3.1.3 قصة السيدة مريم وابنها المسيح عيسى عليه السلام:

يَعتبر الصادق النهوم أَنَّ المسيح عيسى مجرد طفل عادي، ويؤسس تفسيره هذا على ربط ميلاد المسيح عيسى بميلاد النبي يحيى ابن النبي زكرياء، لأتّهما على حد تعبيره بمثابة "حادثتين بمستوى روائي واحد"⁴¹؛ الأمر الذي مهد له الطريق إلى القول بأنّ "وحدة الرمز هنا تقترح بثبات أن القرآن يعتبر عيسى أيضاً مجرد طفل آخر"⁴²، ويواصل النهوم البحث عن الأبعاد الرمز المتوارية في ثنايا دلالات الألفاظ، ليثبت أنّ والد عيسى عليه السلام معروف، وقد مضى في تأكيد هذا الرأي بقوله: "مريم استلمت البشرية بميلاد عيسى بعد أن تَمَّت خطبتها إلى يوسف النجار، والقرآن يشير إلى هذه الحقيقة في سورة آل عمران"⁴³، والآية الّتي اعتمدها كمصدر للحقيقة، تتمثل في قوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَهْمُ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} (آل عمران: 43-44)؛ ويرى بأنّ لفظة (يكفل) لا تحمل معنى (يربي/ يعول/ يضمن...) بل تعني (يتزوجها).

ويَعتبر قصة حمل السيدة مريم وميلاد المسيح عيسى "حادثة عادية خالية من صفات المعجزة"⁴⁴، وهذا التأويل ليس بالغريب عنده، فقد سبق وأن وقفنا عند تفسيراته لقصة أصحاب الكهف، والنتائج التي توصل إليها، فهو يعتبر أنّ القصص القرآني مجرد من صفات المعجزات. وأما بخصوص دراسته حول المسيح عيسى فهو يرى بأنّ "المسيح لم يصلب... علّق على الصليب ولم تكسر قدماه ولم يدفن على نفقة الدولة، سُلّم لأحد أتباعه...هرب...قبره موجود الآن في (كشمير)..مستعد لإثبات ذلك.. لإخراج عظام المسيح

من قبره"⁴⁵، يستمر النهوم في تقديم وقائع من وحي تفسيره، ويسرد أحداثاً غير مذكورة في القرآن، ولا وجود لها أصلاً، بل ويُصر على ثبوت رؤيته تجاه ما جرى للمسيح عليه السلام.

وينفي النهوم حدوث المعجزة سواء في قصة السيدة مريم، أو المعجزات التي حدثت مع المسيح عيسى، فيقول: "هذا الاقتراح الذي يجرد المسيح من كل صفات المعجزة لا يطابق تماماً تفسيرات معظم العلماء المسلمين"⁴⁶، ويواصل افتراضاته المزعومة بشأن عدم ثبوت المعجزة، متجاهلاً أمهات كتب التفسير التي تكلمت عن صدق حدوث المعجزة، ومتجاوزاً الإنجيل الذي يرى أنه "لا يملك دليلاً واحداً على أن عيسى المسيح قد صنع أيّاً من تلك المعجزات"⁴⁷.

ويذهب إلى تفسير معجزات المسيح عيسى المذكورة في قوله تعالى: {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران: 49)، فيرى بأن "عيسى المسيح قد جاء لكي يخبر الناس بما يجب أن يكتفوا به من الأكل ومن متاع الدنيا ومن الثروة"⁴⁸، وهنا نلاحظ حضور استراتيجيته في ربط ظاهر القصة بأحداث تاريخية، أما فيما يتعلق بشفاء الأكمه والأبرص، فيفسرها انطلاقاً من الأبعاد الرمزية، فيقول: "أعتقد أن الرمز هنا للإنسان الأعلى الذي لا يستطيع أن يرى آيات الله في العالم من حوله، أما الموتى فهم العاجزون كلية عن الارتباط بالعالم الروحي... وعيسى المسيح جاء لشفاء هذا المرض الروحي وليس لشفاء أمراض الجسد"⁴⁹، فهو يقدم تفسيراً معنوياً للآية الكريمة، مجدداً طرح مقاصده المخفية.

أما الآية المتمثلة في قوله تعالى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ} فيفسرها انطلاقاً من اعتبار أن "الطين رمز للمادة المرتبطة بالأرض أي للإنسان المرتبط بعالمه المادي، والطير رمز للسمو الروحي... وعيسى المسيح ... جاء لنقل الإنسان البسيط من عالم التراب والمادة إلى عالم الله الرحب"⁵⁰، فهو هنا يربط الآية بمهمة المسيح عليه السلام، كما ذكرها، وهنا نلاحظ توجهاته وتأكيداته وجود دلالات معنوية مادية تاريخية مضمرة في مفردات القصة.

4.1.3 صدق المعجزة وبطلان دراسة الصادق النهوم:

تتضمن تأويلات النهوم لقصة السيدة مريم، وابنها عيسى عليه السلام، مغالطات تاريخية ودينية، ولا غرابة في هذا الأمر، فمن يلجأ لتفسيرات غريبة دون تفسيرات الفقهاء والعلماء المسلمين، لا يُنتظر منه خير، والبداية تكون مع تفسيره العجيب الغريب في أن للمسيح أباً وهو يوسف النجار، حسب اعتقاداته وتصريحاته، فأتى يكون للنبي عيسى عليه السلام أبٌ وأمه عزباء، والقرآن يثبت عفتها وطهارتها، ألم ينظر

النهوم في باقي الآيات التي تثبت طهارة السيدة مريم؟ ألم يتأمل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: 42)، وقوله تعالى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (آل عمران: 47)، هذه الآيات تثبت عفة مريم، وأنها لم تتزوج كما ورد في أباطيل النهوم.

ولو كان الأمر حقا كما يقول النهوم لما قالت السيدة مريم بعد حملها: {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا} (مريم: 23)، فعن أي زواج يتحدث النهوم؟ لو كانت السيدة مريم متزوجة حقا كما يقول النهوم، فلماذا قالت مثلما ورد في الآية الكريمة؟ ولماذا اتهمها قومها عندما جاءت بابنها تحمله؟ {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا} (مريم: 27-28)، هل يقال للمرأة المتزوجة لماذا أنجبت؟ النهوم تغاضى وتعامى عن هذه الآيات التي تثبت طهارة مريم، وشكك فيها، وهذا هو عمل العلمانيين المتشبعين بالحادثة المدمرة، حيث أنهم "سلطوا على النصوص القرآنية وأخبار السنة الصحيحة معول التأويل المتعسف المتعلق للنظريات العصرية والأفكار المستحدثة، أو أنكروها إنكاراً كلياً أو جزئياً، إرضاءً لثرهات عقولهم، ودعاوى الافرنج وآراء المستشرقين"⁵¹، فالتفسيرات التي طرحها النهوم، ما هي إلا أكاذيب لا محل لها من الوجود.

ثم إن عيسى عليه السلام معجزة من معجزات الله عز وجل، وهذا موجود في قوله تعالى أيضا: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِئًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران: 45)، وقوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ امْرَأً مَّقْضِيًّا} (مريم: 21)، فالنهم يحاول تشويه قصة عيسى عليه السلام، بقوله إنه ولد طبيعي له أب وأم، ولا عجب في هذا، فالرجل قد سار على درب القراءات الحداثية، التي تسعى لتقويض أركان الرؤية الإسلامية للحياة. ولم يكتف النهوم بهذا، بل ذهب إلى القول بعدم حدوث المعجزات مع عيسى عليه السلام، وذلك بنفيها وتفسيرها حسب ما يقرره الهوى لا ما تقرره القواعد السليمة في النظر، والقرآن الكريم يثبت حدوث المعجزات، فالحمد لله سبحانه وتعالى لا يحتاج للرمز لكي يثبت أمراً ما، أو ليخفي حقيقة ما، وقول النهوم عن المعجزة مجرد رموز، أمر في غاية الخطورة، لأنَّ إبطال حدوث المعجزة وإنكارها وتفسيرها بتفاسير كاذبة وخاطئة تحريف لمعاني القرآن، يجرَّ الأخذ به إلى إيقاع الناس في الكفر.

4. مخاطر قراءة النصّ القرآني وفق القراءات الحداثيّة:

اعتماد القراءات الحداثيّة كآلية في قراءة النصّ القرآني، عمل وجب توخي الحذر منه، فهي ليست مثل أية قراءة سليمة، لأنّها تعتمد على مرجعيات غربية، تنافي تعاليم الدين الإسلامي، ولقد رأينا أن نذكر بعض مخاطر وسلبيات تأويل النصّ القرآني من منظورها، نحو:

_الرؤية الغربية للنصّ القرآني تنطلق من جذور علمانية تسعى إلى نفي صفة التعالي والقدسيّة عن النصّ القرآني، وتكذيبه، وإبطال القصص الّتي جاء بها، ونفي صفة المعجزات عنها، إضافة إلى أنّها "أخذت بأسس الحداثّة الفلسفية والّتي تنظر إلى النصّ القرآني على أنّه مجرد عن التقديس وعن كل عبارات التعظيم والتبجيل، لذلك كان همها زحزحة المعتقدات وتفكيكها ومن ثمّ تجاوزتها"⁵² فجاءت لتحدث القطيعة المعرفية والمنهجية مع جميع التفسيرات التراثية.

_ تعمل القراءات الحداثيّة على "إبعاد النصّ القرآني من سلطة المرجعيات المختلفة وجعله متاحا للتنزيل الإنساني كأيّ نصّ أدبي أو فكري عاديّ بعيداً عن مفاهيم الإطلاق والتعالي والانفصال والقدسيّة"⁵³، ولهذا يجب على القارئ والمفكر المسلم إدراك خطورتها.

_ تحاول القراءات الحداثيّة إثبات أنّ "النصّ القرآني مجموعة رموز أو مجازات قابلة للترميز لأيّ شيء، فلغته الرمزية تتيح للقارئ حرية أوسع في تقويل النص. ولغة القرآن بنظرهم رمزية في معظم الأحيان"⁵⁴، فالحدائيون العرب يعتقدون بأن لغة القرآن الكريم نظام من العلامات والرموز والإشارات الاعتبارية.

_ إنّ بعض القراءات الحداثيّة للخطاب القرآني ليست بريئة، لأنّها تتعامل مع نصّ مقدس، له خصائصه الّتي لا تتوافق مع بعض المبادئ الحداثيّة، كموت المؤلف، وعزل النصّ عن العالم الخارجي، واعتبار النصّ بنية لغوية لذاتها ومن أجل ذاتها.

5. خاتمة:

توصلت الورقة البحثية إلى جملة من النتائج نخص بالذكر منها:

_ تُعتبر العلمانيّة من أخطر التوجهات التي ظهرت من رحم الحداثّة، ذلك أنّها تشبعت بالثقافة الغربية المدمرة للعمد الإسلامي، فتوجهت إلى تكذيب وتحريف ما جاء به القرآن الكريم، كالقصص القرآني، ومن بين العلمانيّين العرب الذين سلكوا هذا الدرب؛ الصادق النيهوم.

_ اعتبر الصادق النيهوم قصة أهل الكهف مجرد رموز تحمل في طياتها قصصاً أخرى غير التي جاء بها القرآن الكريم، ولقد ذهب إلى القول بأنّ قصة أهل الكهف خالية تماماً من المعجزات، فالمعجزة في نظره تكمن في الأسطورة المضمرة وراء حدود كلمات القصة، والسبب في تأويلاته الباطلة اعتماده على التفسيرات الأجنبية كتفسير محمد اللاهوري للقرآن الكريم، وهو في مجمله مغالطات وتحريفات في حق النصّ القرآني.

_ تفوقعت تأويلات النيهوم لقصة السيدة مريم وابنها المسيح عيسى عليه السلام، في ثنايا القراءات الحداثيّة، والمغالطات القصديّة، فالتفسيرات التي قدمها عبارة عن تزوير وانتهاك لقدسيّة القرآن الكريم، إضافة إلى الجرأة التي لاحظناها منه في حق عفة وطهارة السيدة مريم، ومعجزات النبي عيسى عليه السلام، إذ يؤكد زواجها وعدم حدوث أية معجزة، وبأنّ القصة كلها عبارة عن رموز تضمّر أساطير مسيحية؛ إلا أنّ الحقيقة غير ذلك تماماً.

_ تكذيب القصص القرآني من عمل المقاربات الحداثيّة، ولهذا على الناقد العربي أن يتفطن لهذا الفيروس الذي تسرب إلى ساحته الفكرية، وأن يضع له حداً من خلال تقديس النصّ القرآني، واستحضار عظمتة، والتأمل فيه والتفكير والتدبر، والحذر من مقاربتة من زاوية حداثيّة غريبة، لما يقف وراء هذه المقاربات من خلفيات تناقض الأسس الموضوعية والطبيعية القدسية للدين الإسلامي عموماً والقرآن الكريم بوجه خاص.

6. قائمة المراجع:

- ¹ السلطاني حكيم سلمان، القراءة الحداثيّة للنصّ القرآني في ضوء تحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018م، ص 38.
 - ² عار محمد عبد الفتاح، القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني، ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، مصر، ط1، 2021م، ص: 285.
 - ³ حمادي سمير سعيد، قاموس مصطلحات التقديس المعاصر، دار الأفق العربيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص: 91.
 - ⁴ المرجع نفسه، ص: 93.
 - ⁵ ينظر: لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفيّة، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، مج1، ص: 822.
 - ⁶ المرجع نفسه، ص: 822.
 - ⁷ السلطاني حكيم سلمان، القراءة الحداثيّة للنصّ القرآني في ضوء تحليل الخطاب، ص: 25.
 - ⁸ مساعد الطيار، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط2، 2008م، ص: 61.
 - ⁹ عار محمد عبد الفتاح، القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني، ص: 285.
 - ¹⁰ الكلام يوسف، القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مكتب مجلة البيان، الرياض، ط1، 1434هـ، ص: 09.
 - ¹¹ الخطيب مواهب، تعدد القراءات في فهم النصّ القرآني، دار الوفاء، بيروت، لبنان، (دط)، 2016م، ص: 8.
- * القراءات المعاصرة: وردت في كتاب جماعي تحت عنوان: قراءات معاصرة في النصّ القرآني/ وردت في الملتقى التولي الافتراضيّ الأول الموسوم ب: "القراءات المعاصرة للقرآن الكريم واشكالياتها" الذي احتضنته جامعة محمد الشريف مساعدية _ سوق أهراس والمنعقد يوم 29 أكتوبر 2022.
- ** القراءة الحداثيّة: استعملها كل من محمد عبد الفتاح عار في كتابه الموسوم ب: القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني/ ويوسف الكلام في كتابه: القراءات الحداثيّة للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس.

*** القراءة الجديدة: استخدمها منصور بن حمد العبيدي في كتابه الموسوم ب: نظريات القراءة الجديدة للنص القرآني / وأيضاً عبد المجيد النجار في كتابه: القراءة الجديدة للنص الديني.

¹² باحو مصطفى، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص: 7.

¹³ النبهوم الصادق، الرمز في القرآن، نالة للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ط1، 2008م، ص: 21.

****الصادق النبهوم (1937 / 15 نوفمبر 1994)، من بنغازي بليبيا، أعد أطروحة الدكتوراه في "الأديان المقارنة"، دَرَس مادة الأديان المقارنة كأستاذ مساعد بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلنسكي بفنلندا من عام 1968 إلى 1972، من أهم مؤلفاته: الكلمة والصورة، من مكة إلى هنا، الرمز في القرآن، إسلام ضد الإسلام.

¹⁴ النبهوم الصادق، الرمز في القرآن، ص: 23.

¹⁵ المصدر نفسه، ص: 28.

¹⁶ المصدر نفسه، ص: 108، 109.

¹⁷ المصدر نفسه، ص: 109.

¹⁸ المصدر نفسه، ص: 50.

¹⁹ المصدر نفسه، ص: 50.

²⁰ المصدر نفسه، ص: 51.

²¹ المصدر نفسه، ص: 51.

²² المصدر نفسه، ص: 55.

²³ المصدر نفسه، ص: 51.

²⁴ المصدر نفسه، ص: 52.

²⁵ المصدر نفسه، ص: 52.

²⁶ المصدر نفسه، ص: 61.

²⁷ المصدر نفسه، ص: 63.

²⁸ المصدر نفسه، ص: 63.

²⁹ المصدر نفسه، ص: 63_64.

³⁰ المصدر نفسه، ص: 64.

³¹ المصدر نفسه، ص: 58.

³² المصدر نفسه، ص: 66.

³³ محمد يعقوب طاهر محمود، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ، ج1، ص: 715.

³⁴ ابن أبي الإصبع المصري، بدع القرآن، تخ: حفي محمد شرف، نهضة مصر، مصر، (د_ط)، (د_ت)، ص: 321.

³⁵ محمد يعقوب طاهر محمود، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، ص: 724.

³⁶ المرجع نفسه، ص: 781.

³⁷ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تخ: سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ا، ط1، 1997م، ج5، ص: 143.

³⁸ المرجع نفسه، ص: 144.

³⁹ المرجع نفسه، ص: 144.

⁴⁰ المرجع نفسه، ص: 145.

⁴¹ النبهوم الصادق، الرمز في القرآن، ص: 87.

⁴² المصدر نفسه، ص: 88.

⁴³ المصدر نفسه، ص: 89.

⁴⁴ المصدر نفسه، ص: 91.

⁴⁵ المصدر نفسه، ص: 99.

⁴⁶ المصدر نفسه، ص: 92.

⁴⁷ المصدر نفسه، ص: 93.

⁴⁸ المصدر نفسه، ص: 113.

⁴⁹ المصدر نفسه، ص: 113.

⁵⁰ المصدر نفسه، ص: 113.

⁵¹ محمد يعقوب طاهر محمود، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيليّة، ص: 821.

⁵² السلطاني حكيم سلمان، القراءة الحداثيّة للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، ص: 52.

⁵³ المرجع نفسه، ص: 53.

⁵⁴ المرجع نفسه، ص: 109.